

بسم الله الرحمن الرحيم

الملتقى الوطني بعنوان: الصحافة الدينية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية.

الجهة المنظمة: مخبر الدراسات الدعوية والاتصالية _ كلية أصول الدين _ جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية بقسنطينة

محور المداخلة: المحور الثاني: مضامين وقضايا الصحافة الدينية في الفترة الاستعمارية.

عنوان المداخلة: المقال التفسيري بين عبد الحميد بن باديس ومحمد العاصمي.

المعلومات الشخصية

تحت إشراف: د. عبد الغني عيساوي

الاسم واللقب: عادل رفيق عزوق

الأستاذ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدرجة العلمية: طالب دكتوراه تخصص التفسير وعلوم القرآن

الجامعة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البريد المهني: azoug.adelrafik@univ-emir.dz

البريد الإلكتروني: abouishakadel@gmail.com

رقم الهاتف: 0664434585

كان للصحافة الدينية بالجزائر -على اختلاف مشاربها- حضور بارز ومؤثر، وذلك بسبب المواضيع المطروقة في صحفها من جهة، وكيفية تناولها من جهة أخرى، ومن ملامح التميز والإبداع؛ أن كُتّابها انتهجوا مسلك الإصلاح عن طريق ربط الشعب الجزائري بالقرآن الكريم؛ المصدر الأول والأقدس عند المسلمين، ومن تجليات هذا المسلك؛ تلك المقالات التي كتبت في تفسير آي القرآن الكريم، والتي كانت -غالبا- ما تنصدر المقالات في الجرائد والمجلات، ومن الأعلام الذين اهتموا بهذا النوع من المقالات: الشيخان عبد الحميد بن باديس ومحمد العاصمي، وهما على طرفي سجال فكري معروف في تلك الفترة، فالأول ينتمي إلى التيار الإصلاحي المعادي للمستعمر، والثاني إلى التيار الطرقي، وقد حصل بين التيارين ما حصل من حوارات في مسائل وقضايا جدلية، فتأتي هذه المداخلة لتسلط الضوء على المقال التفسيري عند هذين العلمين، محاولةً الكشف عن مواطن الوفاق والافتراق بينهما.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة فيما يلي:

- 1- الاطلاع على جهد مغمور من جهود علماء الجزائر في الصحافة وعلم التفسير.
- 2- إبراز شكل مستحدث من المقالات الصحفية.
- 3- الكشف عن مدى تأثير الانتساب المذهبي في التحرير الصحفي.
- 4- المقارنة بين جهود علمين جزائريين من تيارين مختلفين.

أهداف الدراسة:

إنني أهدف من خلال دراستي إلى ما يلي:

- 1- التنويه إلى إبداع علماء الجزائر في العمل الصحفي رغم الظرف الاستعماري الصعب.
- 2- بيان مسلك من مسالك الإصلاح خلال فترة الاستعمار.
- 3- تجلية مدى تأثير الإدارة الفرنسية على الحراك الصحفي في الجزائر.
- 4- إثارة البحث في المقال التفسيري والحديثي في كافة الصحف الجزائرية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في فهارس المكتبات وشبكة الإنترنت تبين لي مايلي:

- 1- وفرة البحوث حول ابن باديس، فالمطالع يجد عشرات المقالات والأطروحات والكتابات حول هذا العلم وجهوده عموما، وحول منهجه في التفسير على وجه الخصوص.

2- لم أجد من تكلم عن منهج محمد العاصمي في التفسير، وغاية ما وقفت عليه؛ دراستان:

أ- "منهج محمد العاصمي في شرح الحديث النبوي من خلال مجلة صوت المسجد"، مقال ل: أ.د. مختار نصيرة، منشور في مجلة المعيار، المجلد: 25، العدد: 56، السنة: 2021.

ب- جمع مقالاته في شرح الأحاديث د. عبد الرحمن دويب في كتابه "إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثية".

- ويظهر من خلال هذا العرض للدراسات السابقة، أن المداخلة أماطت اللثام عن أمرين لم يُتطرق إليهما من قبل، وهما:

1- المقال التفسيري عند محمد العاصمي.

2- المقارنة بينه وبين ابن باديس.

المنهج المتبع في الدراسة:

لقد انتهجت في دراستي هذه المنهج المقارن، الذي يقوم على الموازنة والمقابلة بين النماذج والظواهر للوصول إلى مواطن الاتفاق والاختلاف بينها.

خطة الدراسة:

وقد جاءت هذه المداخلة وفق الخطة التالية:

مقدمة.

المبحث الأول: التعريف بالشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد العاصمي.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ عبد الحميد بن باديس.

المطلب الثاني: التعريف بالشيخ محمد العاصمي.

المبحث الثاني: المقارنة بين الشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد العاصمي في تحرير المقال التفسيري.

المطلب الأول: أوجه الاتفاق.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف.

خاتمة.

التوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد العاصمي.

من الجدير بالذكر أن الشيخ محمد العاصمي يعتبر من الأعلام المغمورة غير المعروفة، لذا جرى التوسع - نوعا ما- في التعريف به، في مقابل الاقتضاب في التعريف بابن باديس لشهرته.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ عبد الحميد بن باديس.

هو عبد الحميد بن محمد بن مكي بن باديس الصنهاجي، ولد بقسنطينة يوم الأربعاء 10 ربيع الثاني 1308 هـ الموافق لـ 04 ديسمبر 1889 م، وكان أبوه صاحب جاه وشهرة، حفظ القرآن الكريم صغيرا على شيخه المدّاسي، وأخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغوية على الشيخ حمدان الونيسي، ورحل إلى جامع الزيتونة بتونس وتتلّمذ على خيرة علمائه، وتخرج منه بشهادة التطويع -العالمية- سنة 1911 م، ثم عاد إلى الجزائر مُباشراً نشاطه الإصلاحي المتنوع الذي كُِّلَ بعد جهد وصبر بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 م.

تتلّمذ الشيخ على كثير من العلماء منهم: الشيخ حمدان الونيسي بقسنطينة، والشيخ محمد النخلي والشيخ الطاهر بن عاشور بتونس، وغيرهم كثير.

كما تخرج على يديه الكثير من التلاميذ، ومن أبرزهم: الشيخ مبارك الميلي، والشيخ الفضيل الوتيلاني، ومحمد الصالح رمضان، وغيرهم.

ترك الشيخ الكثير من المؤلفات والمقالات، نذكر منها:

- 1- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.
- 2- مجالس التذكير من كلام البشير النذير.
- 3- رجال السلف ونساؤه.
- 4- القصص الهادف.
- 5- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
- 6- مبادئ الأصول.
- 7- رسالة جواب سؤال عن سوء مقال.
- 8- كما حقق كتاب "العواصم من القواصم" لابن العربي المالكي.

كما جمعت مقالاته ضمن آثاره.

توفي الشيخ -رحمه الله- يوم 8 ربيع الأول 1359 هـ الموافق لـ 16 أبريل 1940 م، ودفن في روضة أسرته، بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة¹.

المطلب الثاني: التعريف بالشيخ محمد العاصمي.

هو محمد العاصمي، عالم، أديب صحفي، كان مفتي الحنفية بالجزائر، ومدير مجلة "صوت المسجد"²، ولد حوالي سنة 1888 بأولاد إبراهيم نواحي بوسعادة، وقد درس في قسنطينة، ثم رحل إلى تونس فدخل جامع الزيتونة، ونال الإجازات، ومن شيوخه فيه أحمد الأمين بن عزوز، وهو من آل ابن عزوز جهة طولقة ومؤسسي زاوية نفطة الشهيرة، وبعد ذلك رجع العاصمي إلى زاوية الهامل، فدرس على الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي، عمدة هذه الزاوية في وقته، ثم سافر إلى القرويين أيضا، فأخذ بها عن بعض المشايخ³.

تنوعت أيضا وظائفه. بدأ مساعدا (كاتبا) عند الباشا ابن الأحرش في الجلفة من 1912 إلى 1919، أي فترة التجنيد الإجباري والحرب الأولى. وكانت المنطقة ما تزال تحت نفوذ المكاتب العربية عندئذ، فالذي يوظف في الحقيقة ليس الباشا ولكن السلطات الفرنسية، ثم أصبح الشيخ العاصمي إماما في أحد مساجد العاصمة (جامع بورقيسة) عام 1920. وأخذ بعد ذلك ينشط في الأدب والدين، فنجدته في جمعية تسمى (المهذبة)، وهي جمعية أدبية لا تهتم بالسياسة ولكن تهتم بالأدب والمسرح، وشارك مع الشيخ أحمد توفيق المدني في تحرير (تقويم المنصور) فكتب له فصلا، ووصفه الشيخ أحمد توفيق المدني بأنه كاتب كبير وجوالة، والكلمة التي كتبها العاصمي للتقويم عنوانها (المجتمع الجزائري وعماد نهضته الراهنة). وقد امتدح فيها الشعب الجزائري على تمسكه بالوطنية (التقاليد) ومعارضته لموجة التحضر، ورأى أن الإسلام من أقوى دعائم هذا التمسك، وهو شعب يحب الحرية واللغة العربية، ويكره الجمود كما يكره الطفرة. وهذه خلاصة رأي رجل لا شك أنه استخلصه بعد تجربة.

¹ لخصت هذه الترجمة من مقدمة: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس عبد الحميد، ت: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد، الجزائر، ط: 1، 1430-2009، ص 35-40.

² مجلة (صوت المسجد) التي كانت في الحقيقة صوت (المسجد الفرنسي) كما قال أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة - 2007، (4/ 420).

³ تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة - 2007، (3/ 100).

وقد تطورت الحياة بالشيخ العاصمي، فرغم علمه وقلمه الظاهري وابتعاده عن الشعوذة والدجل، فإننا نجده قد انضم إلى الجهة التي تساند الإدارة الفرنسية سنة 1932. فكان يكتب في جريدة (الإخلاص) لسان حال جمعية علماء السنة التي عارضت اتجاه جمعية العلماء الإصلاحية. ولعل وظيفته الرسمية، وليس قناعته، هي التي أملت عليه ذلك الموقف، وهذا الموقف أيضا هو الذي جعله يبقى في إطار الوظائف الرسمية ويتدرج فيها، فكان يعطي دروسا في اللغة العربية في جامعة الجزائر، وتولى الإمامة بجامع سيدي رمضان، ثم بالجامع الكبير، ومنذ 1944 تولى الفتوى بالجامع الجديد، وكان الشيخ العاصمي موهوبا، وله قلم بارع، وفكر ناصع، وطموح يشبه الغرور¹.

كان من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين، ثم انقلب عنها في الأربعينات حين أصدر مجلة "صوت المسجد" لسان حال رجال الدين الرسميين، قال توفيق المدني: "كان شيخا عالما أديبا واسع الاطلاع، كثير الألوان، يسير مع كل قوم حسب هواهم"².

يقول أبو القاسم سعد الله: "ومن الجرائد المضادة للإصلاح أيضا ما أنشأه عبد القادر القاسمي سنة 1938 باسم (الرشاد)، وهي جريدة أسبوعية كان يشرف على تحريرها الشيخ محمد العاصمي، وكان هذا الشيخ يملك قلما سيالا وفكرا نيرا ولكنه انحرف بهما إلى خدمة أغراض غير وطنية. ولا ندري دو افعه إلى ذلك، فقد كان من العناصر المثقفة المستنيرة، وشارك بمقالاته في تقويم المنصور وفي تقويم الأخلاق. وكان مثل الشيخ محمد السعيد الزاهري، صاحب موهبة علمية، ولكن كليهما انزلق في متاهات صنفته في المعادين للوطنية والإصلاح."

وكان العاصمي رئيس (الجمعية الودادية لرجال الديانة الإسلامية في القطر الجزائري)، كما كان مديرا لمجلة صوت المسجد التي بدأ صدورها سنة 1948 بالعاصمة واستمرت إلى فاتح 1951. وكانت مجلة شهرية أدبية ودينية واجتماعية، وكانت رسالتها جمع كلمة رجال الدين الإسلامي حول الإدارة الفرنسية، ولذلك كانت تصطدم بحركة جمعية العلماء، وقد صدر منها 21 عددا³.

توفي بحادث سيارة بمدينة الجزائر سنة 1951.

¹ تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة - 2007، (3/ 101).

² معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1400 هـ - 1980 م، (ص: 212).

³ تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة - 2007، (5/ 275).

المبحث الثاني: المقارنة بين الشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد العاصمي في تحرير المقال التفسيري.

يقصد بالمقال التفسيري ذلك المقال الذي يخصص لتفسير آية أو أكثر من القرآن الكريم، وقد اشتهر هذا النوع من المقالات مع ظهور الصحافة في العالم الإسلامي شرقا وغربا، وقد جرى عمل المصلحين وقتئذ على هذا النمط من المقالات؛ إيماننا منهم بضرورة استمساك الأمة الإسلامية بكتاب ربها للعودة إلى سابق عهدها، وكان ممن انتهج هذا المسلك؛ الشيخان عبد الحميد بن باديس ومحمد العاصمي.

فأما الشيخ عبد الحميد بن باديس فكان ينشر مقالاته التفسيرية في فواتح مجلة الشهاب بعنوان "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ثم جمعت بعد وفاة الشيخ في كتاب واحد من طرف الكاتب الأديب أحمد بوشمال بتقديم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، سنة 1367-1948، واقتصر هذا الجمع على تفسير بعض الآيات من سورة الفرقان، ثم نشرها محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين، سنة 1384-1964، وعملا على استقصاء المقالات التفسيرية للشيخ، ولم يُفهمْ إلا اليسير، ثم نشرته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية سنة 1403-1983¹، ثم طبع بعد ذلك طبعة جيدة بتحقيق أبي عبد الرحمن محمود الجزائري سنة 1430-2009 بدار الرشيد بالجزائر.

أما محمد العاصمي فكان ينشر مقالاته التفسيرية في افتتاحيات مجلة "صوت المسجد"² بعنوان (عرض وتلخيص واستنتاج من: تفسير الذكر الحكيم)، كما هو موضح في الصورة التالية:

المسجد
صوت المسجد
مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير
1983-1403
SAOUT EL MASDJID
(Cotac de la Mosquée)
Ramp de la Pacherie - ALGER
781-271-99

عرض وتلخيص واستنتاج من:
تفسير الذكر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
على رسوله الأمين خاتم النبيين وإمام المرسلين

¹ استفدت ما يتعلق بطبعات كتاب "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" من مقدمة: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس عبد الحميد، ت: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد، الجزائر، ط: 1، 1430-2009، ص 31.

² وقد تحصيلت على أعداد مجلة "صوت المسجد" -بفضل من الله- من الشيخ الباحث لحسن بن علية؛ الذي أرسل إلي عشرين عددا منها، من العدد الأول إلى الواحد العشرين، باستثناء العدد العشرين، وكان الذي دلي على الشيخ لحسن بن علية هو الدكتور عبد الحليم بن ثابت فجزاهم الله خيرا.

وكان يوقعها باسم: محمد العاصمي المفتي الحنفي بالجزائر.

محمد العاصمي
المفتي الحنفي بالجزائر

ولم تجمع هذه المقالات -فيما أعلم-، وإنما تتبعتها من الأعداد التي اطلعت عليها، فتحصّل لديّ عشرون مقالا تفسيريا.

المطلب الأول: أوجه الاتفاق.

لم يتمكن محمد العاصمي من الانعتاق من انتمائه الذي كان عليه في بداياته؛ وأعني بذلك بدايته مع الإصلاحيين وتأثره بابن باديس، وهذا مانراه باديا في مقالاته التفسيرية؛ إذ نجد له نفسا إصلاحيا، ومشابهة كبيرة لمسالك ابن باديس في مقالاته التفسيرية، وعليه؛ فإن أوجه الوفاق بين ابن باديس والعاصمي كثيرة وغالبة على أوجه الاختلاف، وما يجمعهما أكثر مما يفرقهما، سواءً في ذلك: المنهجية، والقضايا المتناولة، حتى الشكليات، ولا ريب أن العاصمي قد سار في ذلك على خطى ابن باديس، ومما يؤكد ذلك؛ أنه كان يظهر إعجابه به في مجلته "صوت المسجد"، أما خصومته لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكانت بعد وفاة ابن باديس، وكان دافعها -للأسف- انزواؤه تحت مظلة الإدارة الفرنسية، لذا كان يورد في مجلته "صوت المسجد" مقالات لكتاب يردون على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وذلك بعد أن تولى رئاسة الجمعية خلفا لابن باديس.

وهذه أوجه الوفاق بين ابن باديس والعاصمي، سأوردها في النقاط التالية:

1- تفسير القرآن بالقرآن:

لقد انتهج الشيخان مسلك تفسير القرآن بالقرآن، باعتبار أن القرآن مثاني تتكرر فيه المعاني وتثنى وتؤكد، فنرى عندهما اهتماما بسوق الآيات التي توافق الآية المفسّرة في المعنى، ومن ذلك قول ابن باديس في تفسير قوله تعالى: {ونزل من القرآن ما هو شفاء} (الإسراء: 82): "وصف الله تعالى القرآن بأنه شفاء في مواضع من كتابه منها هذه، ومنها قوله تعالى {يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في

الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين} [يونس: 57]، ومنها قوله: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء...} [فصلت: 44]¹

كما يورد ذلك العاصمي قائلاً: "فالله الواحد المريد القادر هو الذي تولى تبشير كافة رسله بالنصر ولو بعد حين في قوله: "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون" (الصفافات: 173)، وتبشير كل من سار على ذلك السنن الحكيم بقوله: "إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد" (غافر: 51)، "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين" (الروم: 47)²

2- تفسير القرآن بالسنة:

إن تفسير السنة للقرآن يأتي في المرتبة الثانية بعد التفسير بالقرآن، إذ أفهم الناس لكلام الله هو رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ الذي لا ينطق عن الهوى، لذا كان من آليات التفسير المهمة؛ الاهتمام بالسنة النبوية، ومحاولة الكشف عن معاني القرآن من خلالها، ومن هذا المنطلق؛ نرى ابن باديس والعاصمي سلكا هذا المسلك:

- فقد ذكر ابن باديس عند تفسير قوله تعالى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا" (الإسراء: 18)؛ حديثاً يوافق الآية في المعنى؛ تبياناً لها وتوضيحاً، فقال: "العامل في العبادة الذي يقصد بها ثواب الآخرة وشيئاً آخر من أعراض الدنيا؛ كالرجل يبتغي الجهاد، وهو يريد من عرض الدنيا. وقد سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن هذا، فقال: «لا أجر له»، رواه أبو داود وابن حبان³."4
- كما سار العاصمي على هذا الأصل، فقد قال عند تفسير قوله تعالى: "واعتصموا بجبل الله جميعاً..." (آل عمران: 103): "وحبل الله المعتمد به هو القرآن، كما في رواية في حديث صحيح عن ابن مسعود

¹ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1995 م، ص: 142-143.

² مجلة صوت المسجد، العدد الثامن، غرة رجب 1368، 29 أبريل 1949، ص 3.

³ أخرجه أبو داود في سننه (2516)، وابن حبان في صحيحه (4637)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (35/6): إسناده جيد.

⁵⁴ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1995 م، ص: 54.

وغيره، وهو قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض"¹...².

وإذا تحدثنا عن التفسير بالسنة فينبغي التعرّيج على استثمار أسباب النزول في التفسير، وهو ما كان حاضرا في الدرس التفسيري عند الشيخين:

- أما ابن باديس فقد ذكر³ عند تفسير قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57)) (الإسراء: 57)، أن سبب نزولها هو ما روي عن ابن مسعود أنه قال: "هي في نفر من الإنس، كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجن، وبقي الإنس على عبادتهم"⁴.

- وعلى هذا المنوال سار العاصمي⁵ فقد أورد سبب نزول قوله تعالى: "قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33)" (الأنعام: 33)، الذي رواه الطبري⁶ عن السدي: التقى الأخنس وأبو جهل، فخلا الأخنس بأبي جهل، فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا! فقال أبو جهل: ويحك، والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيٍّ باللواء والحجابه والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟

3- التفسير بأقوال الصحابة والتابعين:

لم يكثر الشيخان من الاستعانة بأقوال السلف من الصحابة والتابعين في التفسير؛ إذ غلب عليهما الطابع الإصلاحي والوعظي بالدرجة الأولى، ومن خلال القراءة لهما تعترضك بعض الاستشهادات بأقوال السلف، فعلى سبيل المثال:

¹ رواه الطبري في تفسيره (7572) عن أبي سعيد الخدري، وصححه أحمد شاكر في تعليقه عليه (72/7)، وكذا الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (2024) (37/5).

² مجلة صوت المسجد، العدد الثاني، غرة المحرم 1368، 03 نوفمبر 1948، ص: 6.

³ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1995م، ص: 120.

⁴ رواه البخاري (4714)، ومسلم (3030).

⁵ مجلة صوت المسجد، العدد الثامن، غرة رجب 1368، 29 أبريل 1949، ص: 2.

⁶ ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، (333/11)

- عند ابن باديس عند تفسير قوله تعالى: "لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21)" (النمل: 21)، قال رحمه الله: "عذاباً شديداً" بـتفـ ريشه، هكذا فـسره ابن عباس وجماعة من التابعين"¹

- وعند العاصمي في تفسير قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ..." (آل عمران: 102)، قال: "معنى الأمر بالتقوى حق التقاة هو: وجوب التقوى وكل ما يستطاع منها... وعلى هذا التوجيه الذي هو مختار جمهور الصحابة... وفي إحدى الروايتين عن ابن عباس"².

4- التفسير اللغوي:

لقد تساوى الشيخان في الاعتماد على اللغة العربية في التفسير؛ إذ القرآن نزل باللسان العربي، ويتجلى ذلك في سوقهم عند تفسير كل آية ما يتعلق بشرح معاني مفرداتها اللغوية، وعلى ذلك يبينان المعنى العام للآية، فعلى سبيل المثال:

- عند ابن باديس: في تفسيره لأو ائل سورة يس: {وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6)} {يس: 2 - 6}، قال: " {تنزيل} بمعنى منزل، وهو الصراط المستقيم.

{العزیز} الغالب الممنع الذي لا نظير له.

{الرحيم} المنعم الدائم الإنعام والإحسان.

{الإنذار} الإعلام بوقوع ما يُخاف منه، وهو الهلاك والعذاب العاجل والأجل.

و{الغافل} عن الشيء: التارك له المعرض عنه مع حضوره لديه لاشتغال باله بسواه."³

- أما العاصمي: فعند تفسيره لقوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)" (الأعراف: 31)، قال: "والمعروض في هذا الصدد: أن الزينة هي ما يزدان به الشيء أو الشخص، وأخذها هو التزيين بها، والإسراف هو: تجاوز الحد"⁴.

¹ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1995 م، ص: 268.

² مجلة صوت المسجد، العدد الثاني، غرة المحرم 1368، 03 نوفمبر 1948، ص: 6.

³ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1995 م، ص: 288.

⁴ مجلة صوت المسجد، العدد 12، أول صفر 1369، 23 نوفمبر 1949، ص: 1.

5- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

لم يخلِ الشيخان درسهما التفسيري من الحديث عن الإعجاز العلمي، فقد كانا يتحدثان عن عجائب مخلوقات الله من خلال تفسيرهما للآيات، مما يرسخ يقين القارئ ويزيد في إيمانه، ومن مواطن هذا الصنيع عندهما:

- عند ابن باديس: فقد قال عند تفسير قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا" (الإسراء: 12): "وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس، واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر - كالأرض - كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمى والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد، لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية"¹.
- وعند العاصمي: فقد قال عند تفسير قوله تعالى: "تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (آل عمران: 27): "...فأقطاب العلوم الطبيعية اليوم يصرحون في تقاريرهم المستفيضة بأن إخراج الحياة من المادة الصماء، أو إخراج الحي من الميت معجزة علمية حقيقية كان القرآن أول من اكتشفها في الآية"².

6- التفسير الإصلاحي:

لقد انتهج الشيخان مسلك التفسير الإصلاحي في مقالاتهما بشكل واضح، فتراهما يسلطان الضوء على كثير من الظواهر الاجتماعية الشائعة في ذلك الزمن، محاولان علاجها على ضوء الآيات القرآنية المفسرة، وإن ابن باديس معروف بهذا المسلك حتى غدا من أعلامه، ومن أمثلة ذلك؛ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18)) [النمل: 18]: " هذه النملة هي كبيرة النمل، فقد كان عندها من قوة الإحساس ما أدركت به الخطر قبل غيرها، فبادرت بالإنذار، فلا يصلح لقيادة الأمة وزعامتها إلا من كان

¹ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1995م، ص: 46-47.

² مجلة صوت المسجد، العدد 06، غرة جمادى الأولى 1368، فاتح مارس 1949، ص: 6.

عنده من بعد النظر، وصدق الحدس، وصائب الفراسة، وقوة الإدراك للأمور قبل وقوعها، ما يمتاز به عن غيره، ويكون سريع الإنذار بما يحس وما يتوقع"¹.

- أما العاصمي فقد قال عند تفسير قوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)" (الأعراف: 31): "وما الحضارة الحقيقية إلا في تجميل المظهر تبعاً لصفاء المخبر، لا في مذهب وفكرة العري الخاطئة الشائعة في القرن العشرين في بعض أنحاء الغرب المتمدين"².

هذا؛ ولو تمادينا في تتبع أوجه الوفاق لوجدنا أشياء كثيرة يضيق بحصرها هذا البحث، وحسي من ذلك ما ذكرت.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف.

يبدو من خلال المطالعة لمقالات الشيخين بعض الفروق بين منهجهما، وهذا التمايز يرجع إلى عدة عوامل، منها: التكوين العلمي، القناعات الذاتية، الظرف الاجتماعي، والهدف من التحرير، وغيرها من العوامل، ويمكن نجل أوجه الاختلاف بين العلمين في النقاط التالية:

- 1- توسع ابن باديس في نمط التفسير الإصلاحي بشكل لم يكن عند العاصمي، إذ وظيفة الإصلاح عند ابن باديس كانت حاضرة بقوة في كتاباته؛ في مقالاته التفسيرية وغيرها، بخلاف العاصمي الذي كان تحت توجيه السلطات الفرنسية، فإنه كان يكتب في الإطار الذي تسمح به الإدارة الاستعمارية.
- 2- تميّز ابن باديس بعنونة فقرات المقال، وفي ذلك تيسير للاستفادة ودفع للرتابة؛ ما يجذب القارئ ويرفع من تركيزه، بخلاف العاصمي فإن مقالاته خلت من عناوين توضح المحتوى.
- 3- تميز ابن باديس بالدفاع عن عناصر الهوية بقوة؛ إمعاناً منه في المقاومة الثقافية للمستعمر الفرنسي، بخلاف العاصمي الذي كان يدعو إلى الوحدة والمسالمة مع الفرنسيين.

¹ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1995م، ص: 263.

² مجلة صوت المسجد، العدد 12، أول صفر 1369، 23 نوفمبر 1949، ص: 3.

- 4- يظهر بجلاء تركيز ابن باديس على تثبيت دعائم العقيدة الصحيحة ونبذ الخرافات والبدع والشركيات، وهذا ما لا نراه حاضرا عند العاصمي.
- 5- يظهر من خلال تتبع كلام العاصمي؛ تلطيف العبارة بما يتناسب مع رضا السلطة الاستعمارية الفرنسية، فلا تراه يستعمل الألفاظ التي تثير حفيظة الإدارة الفرنسية، فلا يكتسب القارئ لمجلة "صوت المسجد" حمية لوطنه ضد المستعمر، وإنما تُصَيِّرُه حملا وديعا مسالما لسجّانه.
- 6- لقد استفاد كل من الشيخين من غيرهما من المصنفين، وقد صرح ابن باديس باعتماده على تفاسير عدة، وتجده ينقل عن غيره في ثنايا مقالاته، وكذلك كان صنيع العاصمي، إلا أن الفارق بينهما هو أن ابن باديس لم يُوغل في النقل، فتجد له بصمة إبداعية واضحة، أما العاصمي؛ فإني تتبعته كثيرا من كلامه فوجدته يلخص ويهذب من "تفسير المراغي" دون عزو، وهذا لا يعني أنه لم يكن له حضور في مقالاته، ولكن بروز شخصيته كان أقل إشعاعا من بروز شخصية ابن باديس.
- 7- يتوسع العاصمي كثيرا في التفسير الفقهي، ومن أمثلة ذلك ما ذكره من أحكام الحج عند تفسير قوله تعالى: "وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" (آل عمران: 97) فقال: "... فقد قال البعض إنها القدرة على الزاد والراحلة مع أمن الطريق، وقال آخرون: هي صحة البدن وزوال الخوف من نحو عدو مع القدرة على المال الذي يشتري منه الزاد والراحلة، وقضاء جميع الديون والودائع ودفع النفقة التي تكفي لمن تجب عليه نفقته حتى العودة من الحج"¹، بل قد يذكر أحكاما لا علاقة لها بالآية، استغلالا للفرصة والظرف، أما ابن باديس فلا يكاد يفسر آيات الأحكام أو يتحدث عن الفروع الفقهية المستنبطة.
- 8- كان محمد العاصمي يحرص على اختيار الآيات المفسرة بما يتناسب مع الظرف الزمني، فقد فسر آية الصيام: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة: 183)، بمناسبة صدور عدد المجلة في شهر رمضان²، أما ابن باديس فكان يفسر آيات متتالية في ترتيبها في المصحف، دون مراعاة ظرف زمني.

- خاتمة:

لقد حرر الشيخان ابن باديس والعاصمي مقالات تفسيرية مفيدة، وصدّرا بها أعداد الجرائد والمجلات، وكان المنهج العام في التفسير متقاربا؛ فنرى التفسير بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة

¹ مجلة صوت المسجد، العدد 16، أول شوال 1369، 16 جويلية 1950، ص: 2.

² مجلة صوت المسجد، العدد 10، غرة شهر رمضان، 27 جوان 1949، ص: 1.

والتابعين، كما نرصد الاستعانة باللغة في تجلية معاني الكلمات القرآنية، ونبها على بعض مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ تماشياً مع الذائع في تلك الفترة، ونلاحظ منهما استثمار المعاني القرآن في الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي والسياسي، إلا أن ابن باديس كان متوسعا في النفس الإصلاحية أكثر من العاصمي، مميزا لفقرات مقالاته بعناوين توضيحية، وأمعن ابن باديس في نقد الخرافات والبدع، واستفاد من غيره مع حضور بصمته الإبداعية، ومما تميز به العاصمي عن ابن باديس؛ توسعه في إيراد الأحكام الفقهية استغلالا للمناسبة كشهر رمضان، كما أنه كان ينتخب -أحيانا- من الآيات ما يكون مناسباً للظرف الزمني.

- التوصيات:

بعد إنجاز هذه الورقة البحثية؛ لاحت لي بعض التوصيات التي أوصي بها الباحثين، وهي:

- 1- جمع المقالات التفسيرية للشيخ محمد العاصمي، مع العناية بها تعليقا ودراسة.
- 2- تعميق الدراسة في المقالات التفسيرية للشيخ محمد العاصمي، من ناحية المنهج والموارد والقواعد والآليات المستخدمة في الدرس التفسيري.
- 3- ربط صنيع العاصمي في العملية التفسيرية بتأثيرات الإدارة الفرنسية التي كانت تراقب مجلة "صوت المسجد".
- 4- تعميم البحث عن المقالات التفسيرية في الصحافة الجزائرية الدينية وغير الدينية.
- 5- تسليط الضوء على مجلة "صوت المسجد" الموالية للإدارة الفرنسية، ودراستها في سياقها التاريخي.
- 6- دراسة الجدل الفكري الذي كان حادثا بين جريدة "البصائر" ومجلة "صوت المسجد".
- 7- دراسة طيف من أطراف الحراك الصحفي المعادي للتيار الإصلاحية.
- 8- دراسة بعض الشخصيات التي كانت تكتب في مجلة "صوت المسجد"، والتي كان لها ماضٍ إصلاحي.

- قائمة المصادر والمراجع:

- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة - 2007.
- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1995م.

- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 - 1993.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ت: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379.
- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس عبد الحميد، ت: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد، الجزائر، ط: 1، 1430-2009.
- مجلة صوت المسجد، العدد 02، غرة المحرم 1368، 03 نوفمبر 1948.
- مجلة صوت المسجد، العدد 06، غرة جمادى الأولى 1368، فاتح مارس 1949،
- مجلة صوت المسجد، العدد 08، غرة رجب 1368، 29 أبريل 1949.
- مجلة صوت المسجد، العدد 10، غرة شهر رمضان، 27 جوان 1949.
- مجلة صوت المسجد، العدد 12، أول صفر 1369، 23 نوفمبر 1949.
- مجلة صوت المسجد، العدد 16، أول شوال 1369، 16 جويلية 1950.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1400 هـ - 1980 م.